كلية اللغات والآداب والفنون

الأستـــــاذة : نعيمة بويغرومني

مســـــــــلك : الدراسات العربية

الفـــصـل : السادس

الوحـــدة : السرد المغربي الحديث

الأســـدوس :الربيعي

الموسم الجامعي: 2021/2020

المحاضرة الأولى :

(1) مفهوم السرد في الدراسات الحديثة

1- السرد لغة واصطلاحا

2- السرد عند النقاد الغربيين

3 - السرد عند النقاد العرب

4- المكتبة السردية العربية

3 _ مفهوم السرد عند النقاد العرب :

3.1 مفهوم النقاد العرب المحدثين :

تماما كما تعريفات النقاد الغرب للسرد، تنوعت وتشعبت تعريفات النقاد العرب له، بعد أن شاع المصطلح في الساحة النقدية العربية بفضل الترجمة ،فهو يقابل في الفرنسية والإنجليزية لفظة (narration)المشتقة من الفعل اللاتيني (narrare)التي تفيد روى وسرد.....

فالناقد اللبناني موريس أبو ناضر يرى أن السرد : " هو البناء الداخلي للقصة المكونة من الأحداث والوقائع ، وذلك تبعا لمفهوم زمن معين ومن علاقة القاص بأحداث قصته وتوجهه المباشر أو غير المباشر إلى من يكتب إليه" الألسنية والنقد الادبي (في التنظير والممارسة)دار النهار بيروت ط1 ص 84_85 ،

حيث نجد السرد عنده بمعنى القصة كما نجده عند حميد الحميداني غير أن الأخير يقف أيضا عند كيفية أداء القصة (المسرود) حيث يقول :"الطريقة التي تحكى بها القصة وتسمى هذه الطريقة سردا "بنية النص السردي من منظور النقد الادبي المركز الثقافي العربي بيروت الدار البيضاء ط 3 ، وفي تعريف آخر يقول: " هو الكيفية التي تروى بها القصة ،وهو يماثل الخطاب ،يتضمن مرسلا ومرسلا إليه " المرجع السابق، ص 45-46

وهما بهذا المعنى ،طابقا الناقد العراقي عبد الله إبراهيم في تعريفه التالي: "السرد هو الطريقة التي تحكى بها القصة" المرجع نفسه ص 46

أما الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض فيعرفه بقوله : "هو إنجاز اللغة في شريط محكي يعالج أحداثا خيالية في زمان معين، وحيز محدد ، لشخص يتمثيله شخصيات يصمم هندستها مؤلف أدبي" في نظرية الرواية ، الكويت، عالم المعرفة ، 1990، ص 256

والناقدة يمنى العيد وضعت للسرد مفهوما عاما ركزت فيه على الأحداث فقالت: " السرد مجموعة من الأحداث التي تقع،أو التي يقوم بها أشخاص تربط فيما بينهم علاقات، وتحفزهم حوافز تدفعهم إلى فعل ما يفعلون " تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، ط1 _ 1990ص 28

ولعبد الله إبراهيم تعريفا آخر يذهب فيه إلى أن السرد : " هو النسيج اللفظي المعبِر عن حادثة متخيَلة أو واقعية ،وأنه يقترِن براو يَصْدر عنه "بنية الرواية والفلم ، مجلة آفاق عربية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع 4 – 1993-ص 114.

أما الناقد العراقي طراد الكبيسي فاشترط تحقيق المتعة ليدخل خطاب ما دائرة السرد، فالسرد عنده هو "الكيفية التي يتم بها تصوير الأحداث والشخصيات، وتحقيق أعلى قدر من المتعة للسارد والمتلقي "جماليات النصر العربي الفني _دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد 2000- ص 442

أما رائدة الدراسات السردية في اليمن آمنة يوسف فقالت أنه : "نقل حادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية "تقنية السرد بين النظرية والتطبيق ، مطبعة دار الحوار سورية ،ط1 ، ص 28.

وسعيد يقطين تعرض له في عدة كتب فعرفه تارة بقوله :" السرد عبارة عن مادة حكائية تقدمها الصيغة ، وليست الصيغة هنا غير السرد الذي يضطلع به الراوي في تقديم هذه المادة " كتابة السرد العربي ،مجلة علامات في النقد، السعودية ، ج 35، 2000ص 40

فهو هنا يحدد السرد بأنه مادة حكائية يقدمها الراوي بصيغة ما ،وفي موضع آخر يجعل الســـــرد " فعل عملية الإنتاج للقصة " الخطاب الروائي ص 46، كما عرفه انطلاقا من العملية التواصلية حيث يقول : "السرد كفعل إرسالي من السارد ، الذي يحاول إبلاغ القصة عبر وسائل لفظية إلى متلق ما" من كتاب قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء /بيروت.ط1- ص 16.

أما في كتبه الجديدة ، فقد أعطى يقطين للسرد تعريفات دقيقة أحاطت بمفهوم السرد ووسعت حلقته ليطال مختلف الخطابات، حيث يقول :" السرد فعل لا حدود له ، يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية ، يبدعه الإنسان أينما وجد وحيثما كان " الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي) المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ط1،1997،ص 19 ويحدد مظانه بقوله : "فهو حاضر في الأسطورة والخرافة والحكاية والقصة والملحمة والتاريخ والمأساة والدراما والمحادثات ....."المرجع نفسه ص 19

انطلاقا مما تقدم من تعريفات النقاد العرب للسرد ،يتبين أنها تتغير بتغير سياق الكلام ،وبتطور وعيهم للسرد أيضا ، فالسرد أصبح له مفهوم أوسع واكبر من ذي قبل حين اقتصر على الرواية والحكاية فقط، ليطال مختلف التجليات الأدبية بما فيها الشعر والصورة الثابتة والمتحركة والتمثيل .

هذا من جهة، ومن جهة ثانية يتضح أن تعريفاتهم و تعريفات النقاد الغربيين ، تشترك معظمها في ضرورة حضور الحكي او القص والزمن والراوي والمروي له وطريقة الحكي والتسلسل ليكون هناك سرد،كما يتضح أيضا أن النقاد العرب لهم تصور واضح ودقيق للسرد ، لا يتعارض عن النقاد الغربيين, إلا أن اشتغالهم به ما يزال محصورا في القصة والرواية ، ولما يتوسع بعد ليشمل مختلف التجليات السردية ، وهذا ما سعى الأستاذ سعيد يقطين في كتابه : "السـرد العربي : مفاهيم وتجليات "إلى الإحاطة به ،في محاولة رصينة لبناء مفهوم جديد للسرد العربي، فما هو هذا المفهوم ؟

3.2 مفهوم جديد للسرد العربي : بداية وجب التأكيد على أن وصف هذا المفهوم بالجديد ، يعود إلى الناقد سعيد يقطين، وذلك في محاولة منه لقطع الصلة مع المصطلحات أو المفاهيم القديمة.

وهو بهذا المعنى الجديد ،مفهوم جامع أيضا حسب توصيف هذا الناقد له حيث يقول :

"....عندما نقول مفهوما جديدا ،فإن هذا المفهوم الجديد نوظفه ليكون مفهوما "جامعا " من جهة، وليكون دقيقا وشاملا من جهة ثانية" ص 57

أما المفاهيم القديمة فهي بسبب طبيعة تشكلها وطريقة توظيفها، تصبح مفهومة مفهوما ضيقا كما أن دلالاتها تغدو محدودة حسبه .....فنحن وحتى وقت قريب جدا _حسبه _ نتحدث عن الشعر من جهة ،والقصة والرواية والمسرحية من جهة أخرى، وهذه الأنواع يتم التعامل معها باعتبارها تندرج مجتمعة ضمن مفهوم واحد جامع هو " الأدب" أنظر كتابه ص 58

انطلاقا من هذا التصور الجامع والدقيق للسرد، يتضح أنه قديم قدم الإنسان العربي، وأن العربي مارس السرد بأشكال مختلفة، تدل عليها أقدم النصوص العربية' ، وهو كمفهوم جديد لم يظهر إلا حديثا، حيث أنه عوض مفاهيم قديمة كالقصة عند العرب، والحكايات العربية، والنثر الفني .

وفي هذا السياق يؤكد الناقد إبراهيم الصحراوي " كثير من النصوص الموروثة عن الحقب المتقدمة في التاريخ العربي الإسلامي ذات طابع سردي واضح "السرد العربي (الأنواع والوظائف والبنيات)منشورات الاختلاف ،2008، ص 37 ،بل إن الناقد عبد الله إبراهيم يذهب أبعد من ذلك بقوله: "كل من يتوغل في الأدب العربي القديم سيكتشف قارة شبه معزولة هي مدونة السرد ،وهي مدونة ضخمة ،أشار القدماء ، ومنهم الفضل الرقاشي ،إلى أنها تزيد على الشعر بعشرة أضعاف، ذلك ما أورده الجاحظ وكرره آخرون.

ثم يطرح يقطين قضية سلطة الشعر على التصور العربي ، فرغم الدرسات المتواترة حول الموروث السردي العربي والتي تجمع على أنه موروث غني جدا ،إلا أن فكرة " الشعر ديوان العرب" وكل الفنون لا ترقى إلى هذا الشعر فكرة راسخة في وعي الإنسان العربي حسبه ،يقول في هذا السياق :" إن السرد واحد من تلك الخطابات التي تأثرت سلبا بآثار تلك المقولة ونفوذها السحري فغدت بمنأى عن الاهتمام النقدي والتنظيري في المجهودات التي ترك لنا العرب من خلالها تراثا مهما وهائلا وبالمقابل ،وهنا مكمن المفارقة ، ظل العرب ينتجون " السرد" ويتداولون كل ما يتصل به او يندرج في إطاره من اخبار وحكايات وقصص وسير ومقامات ...." ص 60 ،

ويذهب عبد الله إبراهيم في هذا الشأن :"عليك أن تعرف أنه حتى إلى منتصف الثمانينيات كانت الدراسات السردية غير مسموح بها في الجامعات ، وكان الدرس التقليدي هو الشائع ، وهو نوع

من تاريخ الأدب النثري ،وكان هناك تغييب واضح لكل ما يتصل بالسرد العربي القديم ، إلى درجة ، تخرجت فيها أجيال كاملة من الجامعيين العرب وهم يعتقدون أن العرب أمة شعر، والحال هو عكس ذلك ،فالمرويات السردية تفوق الشعرية في وظائفها التمثيلية وقدرتها على رسم المخيال العربي الإسلامي" المحاورات السردية، منشورات الاختلاف ، ط2011، ص99

وهذه العلاقة بين السرد والشعر تناولها الدكتور محمد القاضي ، بعد أن ساق أمثلة من الشعر الجاهلي حيق قال :" ومن المظاهر الدالة على العلاقة بين الخبر والشعر أننا نعثر على أخبار كثيرة تشترك في الشعر ،وتختلف اختلافا جزئيا أو كليا في الظروف الحافة به، والتي تقدم في غضون السرد" الخبر في الأدب العربي (دراسة في السردية العربية)، منشورات كلية الآداب، تونس 1988،ص 564

كلام يعضد ما ذهب اليه سعيد يقطين حين أقر أن السرد أهم وأضخم ديوان للعرب، لأن جانبا كبيرا من الشعر يقوم على دعائم سردية . كما أن تعريفه للسرد يحتمل مختلف التجليات النصية ، شفهية أو كتابية، شعرية أو نثرية، وعلى هذا الأساس يذهب إلى أن "الحضارة العربية لا يمكن ان تقوم فقط على الشعر ، ولكن على السرد أيضا".

من هذا المنطلق، وبناء على هذا المفهوم يتضح ان السرد العربي لم تتم دراسته على النحو المطلوب ،وعليه وجبت العودة إليه كموضوع، بطرائق تفكير جديدة تستدعي كيفيات جديدة في البحث والتفكير ولنا كمثال مؤلفي " البيان والتبيين " للجاحظ و "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني.